كالعادة يستخدمون فكرة «تهديد الوجود» لشنها

هذه الحرب المبالغ فيها اعادتنا جيلا كاملا للوراء

■ الآن أصبح واضحا أن هدف الحرب هو ـ كم هو أصيل هذا القول ـ احراز النصر! وليس مهما في الواقع مغزى هذا الانتصار في المصطلحات الحقيقية مثل وقف اطلاق الكاتيوشا أو التسوية الأمنية. المهم فقط هو إشعار الناس في اسرائيل بأننا قد «أريناهم من نكون»!

الشعور بالانتصار هو مسألة ذاتية اسرائيلية داخلية تماما مثل «القدرة الردعية» ـ التعريف الأقرب للعقلانية المنضبطة في سياق أهداف الحرب ـ هو مسألة اسرائيلية ـ داخلية لا علاقة لها بسلوك العدو وحكمته، ذلك لأنه في كل مرة خرجنا فيها للحرب تحت شعار «قدرة الردع» (ثلاث مرات على الأقل) كان ذلك حافزا للعدو حتى يتأهب لمجابهة أكثر حدة وضراوة. في المرة الأخيرة سموا ذلك «ضرب وعي الفلسطينيين»، فكانت نتيجته انتصار حماس والطريق المسدود النازف في غزة والضفة.

وليس هناك دليل أفضل على ذاتية التعريف العشوائي الفوضوي وأحادي الجانب للعدو: «العالم العربي» الذي يتوجب «ردعه» وإخافته. أي عالم عربي مهدد بقي بعد السلام مع مصر والاردن وبعد احتلال العراق؟ وقطر؟ إلا اذا كانت العملية الاسرائيلية عبارة عن توقع يبرر ذاته وسبب لاعادة خلق «العالم العربي» المهدد بحيث يصبح من الممكن التصدي والانقضاض على الشيطان القديم والمعروف. صحيح أن هذا الشيطان مستعمل بعض الشيء، ولذلك يتوجب ضم ايران اليه، إلا أن ردعه قد أصبح مسألة اخرى، إلا اذا حولنا الحادثة الموقعية الى «سراييفو 1914» في اطار «صراع الحضارات». وعندئذ سيسقط جنودنا على مذبح «حرب الرُسل» العالمية التي تطوعت اسرائيل للعب دور الجندي الطليعي فيها.

بما أن جوهر الحرب وأهدافها ونتائجها ستتحدد فقط فيما بعد، من الممكن الافتراض أنها ستُذكر كحدث غير متفق عليه، بدأ بالوحدة الوطنية وانتهى باختلافات عميقة وبتوسيع الفجوة الاجتماعية. النقاش السطحي (الملائم لجدول يانصيب التوتو) حول من انتصر ومن خسر، أو الاكتفاء بالتعادل، يتأثر فقط بجزء من نتائج الحرب الواقعية.

عبلة عمرو، سيدة لبنانية تحمل حجاب ابنتتها التي استشهدت مع ابنيها في القصف الاسرائيلي على الضاحية الجنوبية لبيروت

ولكن الحرب نفسها ستترك أثرا عميقا على ما يحدث في المنطقة، وفي داخل اسرائيل على وجه الخصوص – التأثير الذي لو كان صانعو الحرب قد انتبهوا اليه لكانوا فكروا مرتين قبل أن قرروا تحويل حادثة حدودية الى معركة يشارك فيها ملايين بني البشر.

ضمن القوانين المأساوية، كلما أظهر النقاش الشعبي انفتاحا للبحث في جدول اعمال اسرائيلي جديد، جاءت الأحداث الأمنية لتُعيد اليه رؤية «التهديد الوجودي» الذي يخنق هذه المساعي والمحاولات. هذا ما حدث عشية حرب حزيران (يونيو)، وقُبيل حرب تشرين الاول (اكتوبر)، وخلال حرب لبنان الاولى وفي حرب الخليج. الآن عندما أصبح الالتزام الاجتماعي في مركز الحملة الانتخابية وقام الائتلاف الحالي بخطواته الاولى على طريق اصلاح الأضرار التي ألحقتها السياسة الليبرالية الجديدة التي صاغها نتنياهو، فجاءتنا الحرب لتُعيد جدول الاعمال الأمني لسنوات كثيرة الى الوراء.

كيف سيتحمل المجتمع الاسرائيلي العبء الاقتصادي الاضافي الذي سيُلقى على كاهله نتيجة لهذه الحرب؟ عملية تحسين العلاقات بين اسرائيل والدول العربية المعتدلة التي تتقدم ببطء وتعثر، انقطعت وحلت محلها عملية تشدد راديكالية مخيفة بالدرجة الاولى، ومُهددة لزعماء الدول الذين وقعوا على اتفاق سلام مع اسرائيل. يتوجب فقط الاصغاء الى قنوط الملك عبد الله الثاني حتى ندرك ما الذي تسببت به عملية الدمار في بيروت. وفي ظل حرف الأنظار الى لبنان، قتل الجيش الاسرائيلي 200 فلسطيني في غزة تقريبا، وسجن عشرات اعضاء البرلمان الفلسطيني والوزراء في حكومة السلطة. في ظل هذا الوضع هل يمكن التحدث عن اخلاء البؤر الاستيطانية والانطواء وغيرها من المسائل التي كانت على رأس جدول الاعمال الوطني؟

الحرب والأجواء التي سادت نتيجة لها، أعادت اسرائيل جيلا كاملا الى الوراء، ولذلك ليس من الغريب أن ينظر الناس للتاريخ كعملية دائرية، وهذه الحرب (مثل سابقاتها) تعتبر «المرحلة الأخيرة في حرب الاستقلال الاسرائيلية». وفي أي درجة من الغضب يتم التصدي لكل من يحاول لعب دور المتعقل وابراز التطلع للوضع الطبيعي في ظل النزعة للحرب. من ابتدأ هذه الحرب المنفلتة يريد أن يُضخم قيمتها حتى يبرر الثمن الفظيع المترتب عليها، والآخذ في التزايد ـ فقط من اجل احراز انتصار المقامرين. ربما كانت حقيقة أنهم يتبعون استراتيجية الخمسينيات من القرن السابق مع مجتمع وثقافة الواحد والعشرين هي مصدر التفاؤل، إلا أن ذلك لا يمكن أن يتحقق.

ميرون بنفنستي
باحث يساري ومستشار سابق لكوليك
(هآرتس) ـ 2006/8/10

السلام مع سورية سيضعف حزب الله.. وثمنه ارجاع الجولان

■ يجب على التفكير السياسي الاسرائيلي قُبيل انقضاء العملية العسكرية بين اسرائيل وحزب الله أن يأخذ في الحسبان سورية كشريك يفضي الى الاستقرار، حتى لو لم يعجب ذلك الادارة الامريكية. إن تصور المحافظين الجدد يجعل سورية مع ايران جزءا من محور الشر الذي أوجدته ادارة بوش، لكننا قد ندفع هنا في اسرائيل ثمن الحساب الامريكي مع سورية. سورية اليوم مرساة ذات قدرة كامنة على جلب الاستقرار والسلام في المنطقة.

لا يوجد بين سورية وايران شيء موحد تقريبا. فحزب البعث السوري الحاكم علماني في أساسه، أما الحزب الحاكم في ايران فديني اصولي. أكثر الجمهور في سورية سنّي، أما في ايران فهو شيعي. القيادة الايرانية معنية بدولة شريعة، أما الحكام السوريون فينتمون الى الطائفة العلوية التي يعدها الشيعة وأهل السنة شاذة، لا تقيم أي واحد من أركان الاسلام السنّي الخمسة أو أركان الاسلام الشيعي الستة، ولهذا فانها ليست مسلمة. لا توجد حدود مشتركة بين الدولتين أو موارد طبيعية مشتركة. وعلى نحو غريب تقريبا، الشيء الوحيد الذي يوحد الدولتين هاتين هو موقف الادارة الامريكية منهما.

لكن سورية، خلافا لايران، لا تدعو الى القضاء على اسرائيل. بل العكس، يدعو السوريون اسرائيل الى العودة الى طاولة المباحثات والى توقيع اتفاق سلمي بهدي من مبادرة السلام السعودية والجامعة العربية من سنة 2002، التي تدعو الى انسحاب اسرائيل من جميع المناطق التي احتلت في 1967، واقامة دولة فلسطينية، وحل متفق عليه لقضية اللاجئين، وتوقيع على اتفاقات سلام بين اسرائيل والفلسطينيين، والسوريين واللبنانيين وتطبيع علاقات اسرائيل بالعالم العربي.

السلام مع سورية سيضعف حزب الله: ستُقطع خطوط الامداد بالسلاح الايراني والسوري؛ ولن يحتاج السوريون الى استعمال حزب الله في نضالهم ضد اسرائيل؛ وسيستطيع الاقتصاد السوري أن يُبيح لنفسه إضعاف قبضته داخل لبنان. من غير تأييد سوري ومن غير صراع لاسرائيل، قد يعود حزب الله الى حجمه الطبيعي كمنظمة شيعية متشددة، لا يؤيدها أكثر السكان الشيعة في لبنان.

يوجد للسلام بين اسرائيل وسورية ثمن محدد واضح: الانسحاب من هضبة الجولان كلها. يبدو هذا الاجراء اليوم بعيدا عن الواقع. لكن اسحق رابين كان الذي سلم الامريكيين هذا الالتزام. ووافق ايهود باراك ايضا على صفقة مشابهة، لكنه ندم في اللحظة الأخيرة، ويبدو أنه منع الرئيس كلينتون جعل الرئيس الأسد الأب يوقع على تفصيلات الصفقة.

هل سيوافق الجمهور الاسرائيلي على صفقة «جميع الاراضي مقابل جميع السلام» بين اسرائيل وسورية، وعلى صفقة في صيغة كلينتون ـ جنيف بين اسرائيل والفلسطينيين؟ يُطرح هنا مرة اخرى سؤال الثقة. اذا كنا دولة ترغب في الحياة، فيجب النظر الى نموذج السلام المصري ـ الاسرائيلي والاردني ـ الاسرائيلي وأن نعي أن اتفاق السلام يستطيع أن يفضي الى هدوء على الحدود، والى علاقات جوار حسنة والى تطوير اقتصادي.

ولهذا فان التفكير ذا البعدين الاثنين للأشرار والأخيار، والاسلام الذي يواجه سائر العالم، لا يساعد.

ما زال الواقع يستطيع التغير وأن يبدو على وجه مخالف، وكل ذلك على حسب مقاييس ومسودات موجودة لاتفاقات: سلام مع سورية يقيد قوة حزب الله؛ وحل القضية الفلسطينية باتفاق يحسم النزاع والخصام التاريخي على القدس، ويضعف قبضة حماس على الجمهور ايضا؛ وسلام على الحدود مع لبنان؛ وطائفة من اتفاقات السلام والتطبيع مع سائر الدول العربية – من السعودية حتى ليبيا. اذا تحقق واقع جديد كهذا، فسيضعف التهديد العسكري الاسلامي ويصبح مغايرا تماما.

رون فونداك
المدير العام لمركز بيرس للسلام
(يديعوت احرونوت) ـ 2006/8/10

جدل المؤيدين والمعارضين للسلام مع دمشق

بيرتس يميل للتفاوض مع سورية كي يتميز عن اولمرت وينقذ صورته

■ مع: لاسرائيل مصلحة في تسوية سياسية تُخرج من دائرة الصراع الدولة المعادية التي تمسك بخيوط حزب الله وحماس. النظام السوري برهن على استقراره وسيطرته الداخلية واحترامه للاتفاقات. بشار الأسد يريد التفاوض والحرب الحالية في لبنان وغزة أظهرت مرة اخرى أن من الخطير تجاهله.

ضد: ثمن السلام مع سورية معروف ـ اعادة كل هضبة الجولان حتى طبريا، وتسليم مصادر المياه الاسرائيلية للأسد، حليف أحمدي نجاد. مخيف.

مع: الاتفاق مع السوريين أسهل منه مع الفلسطينيين. لا توجد في الجولان اماكن مقدسة، ومشكلة اللاجئين هامشية. يحددون الحدود والاتفاقات الأمنية، فيكون الاتفاق جاهزا.

ضد: هذا ما ظنه خمسة رؤساء وزراء اسرائيليين عندما أجروا المفاوضات مع حافظ الأسد في العقد الماضي. ولكن اسرائيل رفضت تسليم شاطىء طبريا في اللحظة الحاسمة، بينما أصر هو على ذلك. الخلاف حول شريط ارض ضيق يمكنه أن يُفجر التسوية هو ايضا.

مع: السلام الاسرائيلي – السوري سيقطع التحالف بين دمشق وطهران وسيعزل ايران ويعزز القوات المعتدلة في المنطقة. الجولان هو ثمن بخس بالنسبة لمثل هذه الصفقة.

ضد: قادة اسرائيل يعتبرون بشار الأسد صبيانيا وغريب الأطوار، ولكن ليس بالأحمق. لماذا يبتعد عن ايران التي تبدو من دمشق كقوة صاعدة في الشرق الاوسط من اجل تحالف واهن مع الولايات المتحدة واسرائيل اللتين تمران في فترة انحسار؟ الأسد شاهد مصير محمود عباس وفؤاد السنيورة اللذين راهنا على جورج بوش ولاحظ كيف تحول صنيعه حسن نصر الله الى بطل للعرب.

مع: الحرب في لبنان برهنت أن الارض ليست هامة في عهد الصواريخ، وأن طوبوغرافيا الجولان لن توفر الأمن للعمق الاسرائيلي.

ضد: الحرب في لبنان برهنت على أن الطريقة الوحيدة، حتى في ظل الصواريخ، لايقاف اطلاق النار من الطرف الآخر تنحصر في احتلال مناطق الاطلاق. من الأفضل السيطرة على الجولان وتهديد دمشق من هناك على أن يتم النزول الى سهل الحولة.

مع: الازمة الحالية جسدت في أقصى الاحوال الحاجة الى تسوية مع سورية تحول دون الحرب الاقليمية وسقوط الصواريخ ذات الرؤوس الحربية الكيماوية على تل ابيب. من الأجدر الانسحاب من الجولان وبسرعة – من قبل أن يبرهن الأسد، مثل نصر الله، على أن الردع الاسرائيلي فارغ من مضمونه.

ضد: بعد أن تلقينا آلاف الصواريخ في الشمال، ولم نتغلب على حزب الله، فهل سننزل عن الجولان؟ هل فقد أحد صوابه حتى يقول ذلك؟

مع: صفقة مع الأسد ستتم «طوق السلام» في الاتفاقات مع سورية ولبنان، وتعزل الفلسطينيين وتضطرهم الى التنازل في الضفة الغربية.

ضد: الفلسطينيون ليسوا حمقى ومغفلين، وهم لن يسمحوا للأسد ببيعهم لاسرائيل. لديهم وسائلهم لتشويش المسار السوري. عملية انتحارية أو اثنتان ستؤديان الى ايقاف المفاوضات، إذ أن سورية سترفض شجبهما ويتكرر ما حدث في 1996.

مع: خطة الانطواء ماتت. ورغم أن اولمرت ما زال يؤمن بها، إلا أنه سيحتاج الى سياسة بديلة. عمير بيرتس الذي يريد «التميز» عن رئيس الوزراء مضطر لانقاذ صورته اليسارية، وهو يلمح بالتوجه نحو المسار السوري بعد الحرب. اولمرت يستطيع الالتفاف عليه من الشمال باقتراح مفاجىء للأسد ويحظى بدعم كديما والعمل.

ضد: اولمرت يرفض التفاوض مع سورية «اللاشريك» وسيحتاج الى سبب جيد الى تغيير موقفه. الأهم من ذلك هو أن اولمرت أظهر في هذه الحرب بأنه يفتقر للفهم العسكري، إلا أنه مُلم بالسياسة. وفي التركيبة الحالية للكنيست لا توجد لديه اغلبية (61) عضو كنيست مؤيدين للانسحاب من الجولان.

الوف بن
مراسل سياسي للصحيفة
(هآرتس) 2006/8/10

جلسة اجتماع الحكومة المصغرة كانت كئيبة

عملية الوصول لليطاني قد تستغرق اسبوعا

■ في تلك الساعات التي أحدّوا فيها أمس في كيبوتس أشدوت يعقوب على الرقيب اول موران كوهين، من محاربي دورية المظليين الذي قُتل أول أمس في معركة بنت جبيل، أُجريت في المقبرة العسكرية في جبل هرتسل في القدس مراسم الذكرى السنوية لمقاتل آخر من الدورية، سقط في لبنان قبل أن يولد موران. قُتل الرقيب يوآف أيلون في الخامس عشر من آب (اغسطس)، في عيد الحب، 1982 ـ قبل 24 سنة بالضبط. حدث ذلك في بيروت، في الوقت الذي بحث فيه وزير الدفاع اريئيل شارون عن «أوراق لعب» لتضييق الخناق على أناس م.ت.ف غربي المدينة. ابن أخ يوآف، وهو سميه، مضى على أثره الى المظليين ووصل الى يوم الذكرى من لبنان، حيث شارك هذا الاسبوع في معارك بنت جبيل.

وكما هي العادة، وُجد ايضا عدد من الرفاق في الفريق من آب (اغسطس) 1980 من الدورية. جُند بعضهم ايضا للجولة الحالية، في اعمال هيئة قيادة في فرق الاحتياط. لا يتأثر جيل الضباط القديم، من الاحتياطيين الذين رأوا لبنان في الجولة الاولى كمحاربين شبان، بخطط العمليات الحالية. يوجد لبعضهم أبناء يخدمون اليوم في الجبهة. عندما يتحدثون عن صدمة 1982 يتحدثون عن هذا الجيل ـ وهم ليسوا على ثقة من أن جميع الدروس قد استُخلصت منذ ذلك الحين. تفاخر رئيس الحكومة ووزير الدفاع في الاسابيع الأخيرة، بأنهما شفيا اسرائيل من تلك الصدمة. سيتضح مقدار صدقهما في الاسبوع الآتي، اذا نُفذت الخطة الكبيرة لاحتلال المنطقة حتى الليطاني، كما أجازها أمس اعضاء المجلس الوزاري المصغر.

وصف المشاركون بجلسة المجلس الوزاري المصغر أمس الجلسة أنها كئيبة، ومصيرية تقريبا. واجهت الوزراء معضلة شديدة. هل يجوز تعريض حياة كثيرين جدا للخطر، وفيهم جنود احتياط لم يخطر في بالهم أن يقضوا الصيف تحت نيران مضادة للدبابات في لبنان بدل أن يقضوه في عطلة خارج البلاد، باسم التخوف من أن التخلي الآن سيُعرض اسرائيل الى تورط أكبر بأضعاف مضاعفة في غضون سنين قليلة. إن الأنباء التي جاءت الى الجلسة، عن سقوط جنود احتياط آخرين في سلسلة أحداث، لم تجعل الحسم أسهل.

لكن أكثر الوزراء اعتقدوا أن ليس الحديث عن صيغة مكررة لـ 1982. خلافا للمرة السابقة، لا يوجد في قلوبهم في هذه المرة شك في عدالة الحرب. الخوف مغاير: هل يمكن، بازاء من كشف في الاسابيع الأخيرة عن قدرة الجيش، أن الجيش الاسرائيلي لا يستطيع ببساطة أن يؤدي العمل؟ هل يوجد خطر أن تُخسر هنا حياة بشر كثيرين، من غير أن يُحرز الهدف آخر الأمر؟ شحب اهود اولمرت قليلا، عندما عرض عليه ضباط هيئة القيادة العامة هذا الاسبوع تقديرات المصابين. في الفرق التي يفترض أن تعمل في الميدان، يوجد ضباط يعتقدون أن هذا كان سيناريو متفائلا. انهم يطرحون اسئلة غير سهلة: هل وجهة العملية المخطط لها ستُعطل بالضرورة جميع منصات الاطلاق؟ هل يمكن حقا إفشال اطلاق النار حتى الليطاني، وحزب الله ينجح في هذه الايام ايضا، في اطلاق الصواريخ من المناطق التي أصبح الجيش الاسرائيلي قد احتلها؟.

لا يتأثر الضباط بحملات بث الروح القتالية في صفوف الجيش، التي يقوم بها في هذه الايام عدد من كبار هيئة القيادة العامة. انهم يُنبهون الى أنه يوجد هنا الكثير من الناس يتوقعون أن يبنوا أنفسهم على القتال وآخرون، يوضع السيف على حلوقهم، يأملون أن تنقذ عملية جريئة الحرب كانقاذها مستقبلهم الشخصي. إن القنبلة التي انفجرت أول أمس في قضية حلوتس – أدام هي طرف الجبل الجليدي فقط. في الايام الأخيرة يلاحظ جو غير سهل. يُدير ضباط حملات قذف موجهة الى نظرائهم ويجمع آخرون مادة تبرئة استعدادا للجان التحقيق. وكذلك "الحيل الدعائية" التي ينتجها المستوى السياسي تُفسر أنها محاولة لطرح المسؤولية على المستويات الميدانية. يمكن أن نسأل ايضا ماذا يعني كل هذا بالنسبة لأداء الجيش عمله في حرب في المستقبل أكبر، بازاء قوات نظامية لا بازاء منظمة عصابات فقط، مهما كانت ذات خبرة.

ومع ذلك، قدر أمس عدد من الضباط الأكثر وعيا وحكمة في هيئة القيادة العامة، أنه يوجد احتمال معقول لنجاح العملية. ونبهوا أن الجمهور، وبخاصة الاعلام، يميلون الى الانتقال بسهولة كبيرة من النقيض الى النقيض: من الافتخار المبالغ فيه بالانتصارات الى مشاهد انكسار وندب للخراب. يدرس الجيش الاسرائيلي الميدان بالتدريج، ويستعمل قوات أكبر ـ ومع ما يكفي من التصميم، سينجح في اختراق مقاومة حزب الله. إن الصواريخ المضادة للدبابات، وهي أخطر مشكلة تعانيها القوات الآن (أكثر من ثلث القتلى في القتال)، سيصعب عليها أكثر اصابة الدبابات عندما تبدأ هذه السير بكثافة، بدل أن تكون عالقة ومكشوفة في المواقع، كتغطية لقوات المشاة. صحيح، يوجد لحزب الله بضعة آلاف من المقاتلين ينتشرون في «محميات طبيعية» وفي القرى الخربة. لكنهم يقولون إن الاستعمال الصحيح للفرق وتحت القيادة الجديدة للواء موشيه كابلنسكي في الشمال، تمكن السيطرة على المنطقة جنوبي الليطاني في غضون اسبوع. بعد ذلك، يجب البدء باخلاء الحلبة للعملية السياسية.

عاموس هرئيل
(هآرتس) ـ 2006/8/10

يبحثون عن انتصار.. وثمن العملية سيكون باهظا: شبعا والاسرى

اولمرت يدرك خطورة العملية البرية ويميل لاعطاء العملية السياسية فرصة

■ كُتب الكثير حول الوضع النموذجي السائد بين اهود اولمرت وعمير بيرتس. كلاهما جاءا أمس الى جلسة المجلس الوزاري المصغر مع مصالح متلائمة وضغوط متشابهة. رئيس الوزراء ووزير الدفاع يقودان الحزبين الأكبرين، وهما بحاجة بنفس المقياس الى انتصار حاسم في هذه الحرب. كلاهما يخشيان من علامة «ناجح بصعوبة» في الامتحان النهائي الذي فُرض عليهما في بداية السنة الاولى في العلوم السياسية.

وعلى الرغم من ذلك، هناك فرق جوهري بين هذين السياسيين اللذين سيلتقيان إن آجلا أو عاجلا على جهتين متقابلتين من صناديق الاقتراع. في محيطهما يراهنون منذ الآن على الآجل أكثر مما يراهنون على العاجل. الحرب في الشمال قضت على الفرصة القليلة التي تركتها المجابهة في الجنوب لخطة الانطواء أحادية الجانب – المادة الالاصقة الوحيدة التي توحد الحكومة.

ولكن تقدير وعلامة وزير الدفاع تتحدد قبل كل شيء وفقا للتناسب بين عدد مطلقي الصواريخ وعدد مقاتلي حزب الله الذين يُبيدهم الجيش الاسرائيلي من جهة، وبين كمية الصواريخ التي حولت الجليل الى ارض أشباح «محترقة وعدد المواطنين والجنود الذين يُقتلون في الحرب. في المقابل ستكون العلامة التي يحصل عليها رئيس الوزراء معتمدة ايضا، وفي الأساس، على النتائج السياسية لهذه الحرب وآثارها بعيدة المدى.

مقربون تحادثوا مع اولمرت في الفترة الأخيرة فهموا أنه مدرك جدا الخطورة الوضع على الارض بُعيد الانسحاب أحادي الجانب والثاني من لبنان، الذي سيكون مشابها للوضع في المناطق بعد فك الارتباط الاول عن قطاع غزة. أي أنه سيكون على رأس لبنان حكم اسلامي خاضع للتأثير الايراني القوي بدلا من تنصيب حكومة علمانية ضعيفة وذات ميول غربية. حسب تصريحات اولمرت هو يعتبر حزب الله القاذف الذي يطلق الصواريخ، أما سورية فهي الماسورة، وايران هي الصنبور الرئيسي.

رئيس الحكومة دخل الى جلسة المجلس الوزاري المصغر بعد أن تلقى تقييما للوضع يفيد بأن العملية العسكرية الواسعة حتى وإن انتهت بنتيجة تعتبر «انتصارا» قد تتسبب في نزول الجنين مع المياه. الجنين هو رئيس الوزراء اللبناني، فؤاد السنيورة. والامريكيون الذين تفاخروا جدا بالعملية الديمقراطية التي أوصلت السنيورة الى الحكم، وكذلك بعض الجهات المسؤولة عن التقييم في اسرائيل قدروا أنه اذا وسع الجيش الاسرائيلي دائرة عملياته حتى الليطاني، وحتى من ورائه، فان ذلك لن ينتهي عند بكاء السنيورة فقط.

هم حذروا من أن انجازا من هذا القبيل سيؤدي الى انفراط الحكومة اللبنانية الضعيفة أصلا. حسب الدستور ستنتقل الصلاحيات الى إميل لحود، المقرب جدا من سورية وحزب الله، الامر الذي يعني أن اولمرت سيفقد الحكم مع مثل هذا «الانتصار».

هذه التباينات يمكن أن توضح حماسة بيرتس «اليساري» لاستنفاد الخيار العسكري مقابل تردد اولمرت «الليكودي» لاستنفاد المسار السياسي. من خلال المحادثة التي أجراها بيرتس أمس مع وزير الخارجية الالماني، فرانك وولتر شتاينماير، يتبين أنه اختار اطلاق الرسالة التالية لوسائل الاعلام: «اسرائيل لن توافق على حل دبلوماسي لا يضمن الاستقرار والهدوء لسنوات طويلة قادمة». لم تتضمن أي كلمة حول اقتراح السنيورة بنشر الجيش اللبناني في الجنوب بدعم قوة دولية. اولمرت قال ان هذا في الواقع الهدف الأساسي للقرار 1559 الذي تدعو اسرائيل والأسرة الدولية لتطبيقه، لا بل انه تجاوز ذلك واعتبر اقتراح السنيورة «مثيرا للاهتمام».

اولمرت لم يقم باعطاء رد متسرع في هذه المرة، لا بل انه درس كل كلمة ونسقها مع الادارة الامريكية. وبما أن الامريكيين ينسقون مع السنيورة، فمن الممكن القول ان اقتراحه لم يسقط على اسرائيل كالرعد في يوم صاف. لنفس السبب لم يكن رد اولمرت مفاجئا للسنيورة. رئيسُ الحكومة اللبناني لم يسقط عن كرسيه عندما سمع تحفظ اسرائيل على اقتراحه عن التنازل عن القوات الدولية القوية وتأييده لقوات «اليونيفيل» المحسنة. السنيورة يدرك أفضل من أي واحد آخر سبب تفضيل نصر الله لقوات اليونيفيل على القوات الدولية المفوضة من مجلس الأمن. ولنفس السبب بالضبط يعارض السنيورة هذا الاقتراح.

تقييم الوضع الذي طُرح على رئيس الوزراء قبل جلسة المجلس الوزاري، تضمن ايضا روسيا والصين المستعدتين لضرب الامريكيين والبريطانيين حتى آخر قطرة من دم الاسرائيليين واللبنانيين. عملية عسكرية اسرائيلية واسعة تؤدي الى اسقاط الحكومة اللبنانية من شأنها أن تساعد الروس والصينيين على دفن القرار 1559، الذي يدعو الى تكريس حكومة سيادية في لبنان والجنوب. الفيتو الروسي ـ الصيني سيقتل القوات الدولية وهي في رحم مجلس الأمن. في ظل غياب قرار حازم من الأسرة الدولية لارسال قوات قوية الى لبنان سيزال الحاجز الأخير من أمام السيطرة الايرانية على جارة اسرائيل الشمالية. من دون إشراك سورية في مساعي تغيير الاتجاه في المنطقة، لن تتمكن أي قوة في العالم من سد قناة السلاح الايرانية الى لبنان. مُهربو السلاح من سورية لن يضطروا الى بذل جهد كبير مثل اخوانهم في قطاع غزة. أنفاقهم ستُحفر بواسطة جرافات من طراز 2006.

نتيجة لكل هذه العقدة سيكون الدخول الى العمق اللبناني ورطة بالنسبة لاسرائيل حيث ستدفع اسرائيل ثمنا باهظا من خلال خسائرها، وتوقع لبنان في أذرع التحالف الايراني ـ السوري ـ حزب الله. مشكلة اولمرت كانت في هذه المرحلة بعد أكثر من مائة قتيل وثلاثة آلاف صاروخ، هي أن قرار الاحجام عن الدخول البري المكثف ليس مجرد خيار بين قضاء العطلة الصيفية في توسكانا أو في منتجع بروفنس.

ثمن هذه العملية يتضمن التنازل المبدئي عن مزارع شبعا، التي اذا سُلمت بصورة رسمية للسنيورة ستسجل في رصيد نصر الله. واذا تمسك اولمرت بتصريحه بـ «القيام بكل شيء» لاعادة الجنود الأسرى الى بيوتهم، سيضطر الى اعطاء حزب الله أسراه اللبنانيين. لو كان قد اختار هذا الطريق لصفقت له «السلام الآن» ـ التي صرحت أمس لاول مرة عن تأييدها لايقاف القتال بعد شهر من التأييد الصامت لسياسة الحكومة. ولكن يبدو أن اغلبية الجمهور تريد «الانتصار»، من دون أهمية للثمن المترتب على ذلك. اولمرت من كديما وبيرتس من العمل اختارا موقعا وسطيا في الوقت الحالي، ولكن هذا الموقع لا يعطيهما التصفيق المنشود.

عكيفا الدار
المراسل السياسي للصحيفة
(هآرتس) ـ 2006/8/10

خُذ ما يعرضونه عليك، يا ايهود اولمرت.. خُذ واهرب

ادخال قوات برية جديدة للبنان لن يحدث الانقلاب المنشود

■ ما يُرى من هنا، عميقا في جنوب لبنان، لا يُرى، لشدة الاسف، من هناك، من مكاتب الجنرالات في هيئة الاركان، من نوافذ مكتب رئيس الوزراء. نحن نسير نحو الضياع في مطاردة خلف انتصار غير موجود.

راس البياضة هو جرف عال فوق البحر، نحو 10كم شمالي راس الناقورة. وهذه جملة من القرى الصغيرة، المسيحية والشيعية، تمكث فيها قوة من لواء الكسندروني، لواء الاحتياط المتشكل في معظمه من خريجي غولاني.

وحسب التقدير الاستخباراتي، يوجد في القرية 8ـ10 من رجال حزب الله. وهم يختبئون في مكان ما هناك، الى جانب جنود الجيش الاسرائيلي.

والسؤال الذي يطرح نفسه هو كيف يمكن لحفنة من مقاتلي حزب الله ـ «الحزبلاووين» هكذا يسميهم الجنود ـ مواصلة «تجنين» دولة اسرائيل رغم الوجود القريب لقوة من الجيش الاسرائيلي.

ينبغي للمرء ان يرى كي يفهم. في كل بيت دخله الجنود تقريبا وجدوا وسائل قتالية. كل جولة لهم في البيارات، في مزارع الموز، في البساتين تكشف شيئا ما. هكذا مثلا، على مسافة 20م من البيت الذي نزلت فيه احدى السرايا، عثر أول امس على جهاز لاطلاق «تاو 2»، الكلمة الاخيرة في الصواريخ المضادة للدروع، من انتاج الولايات المتحدة. وتحت شجرة مجاورة أُخفيت أربعة صواريخ. وكان جهاز الاطلاق موجها نحو طريق راس الناقورة ـ صور، الذي يمر تحته. وكان الجيش الاسرائيلي يوشك على فتح المحور لمرور المركبات. وتستغرق الجندي المدرب ثلاث دقائق لحشو جهاز الاطلاق وتوجيهه نحو القافلة التي تسير في الاسفل. اما الباقي فتقوم به المنظومة نفسها.

في المنطقة تنصب مئات المنظومات كهذه – كاتيوشا، هاون، وسائل اطلاق مضادة للدروع، عبوات، آبار ألغام وغيرها. لا حاجة لمئات المقاتلين لتشغيلها. تكفي حفنة مزودة بقائمة مرتبة وخبيرة في التشغيل. قبل بضعة ايام رأى الجنود اثنين من رجال حزب الله على دراجة، يسافران من موقع الى موقع. وقد تمكنوا من اصابة المسافر من الخلف. اما سائق الدراجة فقد ملص.

الحركة داخل المنطقة بطيئة وصعبة. ويمتنع الجيش الاسرائيلي قدر الامكان من استخدام الطرقات، خشية العبوات. والحركة هي على محاور معدة على عجل، في مركبات مدرعة مثل الدبابات والمجنزرات من نوع «اخزريت». جزء كبير من الحركة يجري سيرا على الاقدام.

المناوشات بين الجيش الاسرائيلي وحزب الله تذكر بالافلام المتحركة الشهيرة «توم آند جيري» من انتاج هانا بربارة. توم هو القط القوي والمتحفز، وجيري هو الفأر الضعيف والذكي. جيري يضايق توم. توم يرد الحرب. وفي كل المناوشات بينهما فان جيري الفأر هو المنتصر.

اولمرت التقى مع جنود وسمع منهم نداء حارا للدخول الى لبنان والقتال فيه. ولكنه سمع من الجنود في الجانب غير السليم من الخط الازرق. عند الحديث معهم في لبنان فانهم يكونون لا يزالون يريدون بكل قوتهم تصفية حزب الله، ولكن يوجد لهم علامات استفهام اكثر مما لهم من علامات تعجب. الاجواء في صفوف المقاتلين تشبه الى حد لا بأس به يوم الغفران.

الوزراء الذين التقوا أمس قيادة الجيش الاسرائيلي في اطار المجلس الوزاري، فقدوا ثقتهم بقدرة الجيش الاسرائيلي على التحول من توم الى جيري. ومع ذلك، فقد صوتوا الى جانب اقتراح الجيش الاسرائيلي التوجه الى عملية برية كبيرة. ولم يؤمن أحد منهم بنجاحها، ولكن لم يكن لهم مفر: فقد خشوا أن يتهموهم بانهم لم يسمحوا للجيش الاسرائيلي بالانتصار.

الادارة الامريكية تؤيد، حاليا، موقف اسرائيل. وطالما يمتنع الامريكيون عن ايقاف الساعة، فالجيش الاسرائيلي يمكنه أن يعمل. والسؤال هو الى اي نتائج تؤدي العمليات. عدد المصابين بدأ يشكل مشكلة سياسية، مثلما كان قبل 24 سنة، في حرب لبنان. الثمن الذي تدفعه الجبهة الداخلية بدأ يشكل مشكلة سياسية. هذه المرة المشكلة ليست الفتيل القصير للامريكيين، بل أعصاب الاسرائيليين.

في الكازينو يصعب على من يربح أن يعرف متى يتوقف. اما من يخسر فأصعب من ذلك. ولبنان أكثر خيانة حتى من بيت القمار: فهو يعاقب المنتصرين والمهزومين على حد سواء.

«أنت لا تضع مالا طيبا إثر مال سيء»، يقول الامريكيون. لا جدوى من الاستثمار في قضية خاسرة. مزيد من القوات البرية على تلك التي باتت عالقة في لبنان لن يحدث الانقلاب المنشود في الرهان اللبناني. لا يزال هناك فرصة لاسرائيل، بدعم أمريكي، للخروج من هذا القتال بانجازات لا بأس بها. خُذ ما يعرضونه عليك، يا ايهود اولمرت، خُذ واهرب.

ناحوم برنياع
(يديعوت احرونوت) ـ 2006/8/10

دفاع عن النفس وليست جرائم حرب

عملية الجيش برا وجوا وبحرا لا تشكل خرقا لقوانين الحرب

■ يُحظر تحظيراً تاماً على الدول استعمال القوة من أجل انجاز أهداف من أي نوع، ولكن، اذا كان استخدام القوة قد فُرض من أجل الدفاع عن النفس بعد أن استعملت القوة ضده، فحرب من أجل الدفاع عن النفس مسموح بها، ولذلك، فان حرب اسرائيل ضد حزب الله تعتبر عادلة ومشروعه وذلك لانها تأتي ردا على تهديد أمنها وأمن مواطنيها. ومع ذلك، فان القانون الدولي لا يعفي دولة تخوض حربا عادلة من أن تظل محافظة على القواعد العامة الواجبة في كل حرب تخوضها، ومهما كانت. فمثل هذه القيود مرتبطة بالقانون الدولي النظري والعملي المتفق عليه، وان خرقا لما نصت عليه هذه القوانين والتعليمات الاساسية والمهمة يمكن ان تحولها لما يُعرف بـ "جرائم حرب".

القوانين المُلزمة اثناء الحرب تُوجد حالة من التمييز الواضح بين المقاتلين وبين غير المحاربين ـ أي المدنيين في المنطقة ـ في الوقت الذي لا يعتبر فيه قتل الجنود المحاربين اثناء القتال خرقا لقوانين الحرب، بينما يعتبر قتل المدنيين عبارة عن جرائم حرب وأنه ممنوع بكل حالة من الاحوال، الا اذا شارك هؤلاء المدنيون مشاركة فعلية ببعض النشاطات العدائية. ففي حالة كهذه، فانهم يفقدون حق الدفاع عنهم والحق المحتفظ به له